المقدمة

تمثل المسألة الشرقية The Eastern Question القضية الكبرى التي شغلت العالم الأوروبي منذ أن فتح العثمانيون القسطنطينية، ومن حينها برزت روسيا على أنها الوريث الشرعي للإمبراطورية البيزنطية، وحامية حمى المسيحيين في الأراضى العثمانية، بل وأعلنت عن سياستها التقسيمية لممتلكات العثمانيين في الغرب والشرق. وعلى هذا الأساس تطور الصراع الروسي العثماني، متخذا أسبابا دينية وأخرى اقتصادية. ومرت العلاقات بينهما بحقب طويلة من التوتر نشبت خلالها حروب طاحنة، إلا أن هذه العلاقات كانت تشهد تحولات سلمية، بعقد اتفاقات ومعاهدات صلح،سرعان ما كان ينقضها الروس؛رغبة في الإجهاز على الدولة العثمانية. ومن بين تلك المعاهدات معاهدة "كوجوك قينارجه Küçük Kaynarca" أخطر المعاهدات الموقعة بين الطرفين، وذات الأهمية الخاصة في الصراع العثماني الروسي على البحر الأسود والمضائق، والتي جرى توقيعها في يوم ١٢ جمادى الأولى ١١٨٨هـ/ ٢١ يوليو ١٧٧٤م، والتي اعتبرها البعض من أقسى وثائق التاريخ العثماني. وفي هذا البحث أحاول أن ألقي بالظلال حول مختصر العلاقات الروسية العثمانية والدوافع الدينية والسياسية والاقتصادية التي أدت إلى توقيع تلك المعاهدة، وبيان الأسباب التي أجبرت العثمانيين على إبرامها، مع إلقاء نظرة تحليلية وقراءة لأهم بنود تلك المعاهدة وأثارها على الدولتين وتأثيرها السلبي بحق العثمانيين.

طبيعة العلاقات الروسية العثمانية حتى عقد المعاهدة في عام ١١٨٨هـ/ ١٧٧٤م

يمكن القول بأن الجذور التاريخية لمعاهدة كوجوك قينارجه بدأت منذ ظهور ما يطلق عليه في التاريخ والأدب السياسي مصطلح "المسألة الشرقية". وهي مسألة النزاع القائم بين بعض دول أوروبا وبين الدولة العثمانية، بشأن البلاد الواقعة تحت سلطانها، وبعبارة أخرى: هي مسألة وجود الدولة العلية نفسها في أوروبا(١). وقد ظهرت هذه المسألة إلى عالم الوجود بظهور الأتراك في أوروبا، وتعقدت بدخول روسيا في مصاف الدول العظمى، وإصرارها على حل المسألة الشرقية حلاً يلائم مصالحها، حيث كانت بروسيا أكبر مزاحمة لروسيا في أوروبا، وكانت النمسا أكبر مزاحمة لها في الشرق، فنشأ عن ذلك أن بروسيا أخذت تتدخل في مسائل الشرق على قلة مصالحها فيه، رغبة منها في عرقلة مساعي روسيا، وأن سياسة النمسا الأوروبية كان محورها الشرق، وغايتها جعله في مأمن من روسيا جارتها القوية(٢).

وهناك من يرى أن جذور تلك المسألة في صراع الإسلام والمسيحية، وأن سقوط القسطنطينية بيد العثمانيين وتوسعهم في أراضي أوروبا المسيحية كانت أبرز محطاتها، فضلا عن كراهية الأتراك، وبغضهم عسكريا وعرقيا ودينيا. وذلك كان أبرز دوافع تلك المسألة خاصة فيما يتعلق بالسياسة الروسية تجاه الدولة العثمانية(٣).

سياسية روسيا تجاه الدولة العثمانية :

ومنذ القرن العاشر الميلادي تحول الأمراء الروس إلى المذهب الأرثودكس المسيحي، وتبعوا القسطنطينية كنسيا، لذلك ما إن سقطت القسطنطينية حاضرة الإمبراطورية البيزنطية ومعقل المسيحية الشرقية بيد العثمانيين سنة ٨٥٧هـ / ١٤٥٣م، حتى ادعت روسيا الأرثوذكسية أنها وريثة هذه الإمبراطورية وأن موسكو أصبحت روما الثانية، وورثت كنيسة موسكو مظاهر الطقوس البيزنطية منذ عام ١٥٨٨م، ومن هنا ادعى قياصرة روسيا انتقال حماية المسيحية الأرثوذكسية إليهم، وأخذوا يحلمون باليوم الذي يدخلون فيه القسطنطينية، ويطردون المسلمين منها، ويعيدون نصب الصليب مجددا على آياصوفيا(٤).

وقد تمحورت السياسة التوسعية الروسية في تلك الفترة حول تحقيق عدة أهداف، منها:

١- السيطرة على المضائق التركية في سبيل الوصول إلى المياه الدافئة (البحر الأسود والبحر المتوسط)، وبالتالي منافسة الأمم الأخرى (الدول الكبرى). فإشراف القسطنطينية العثمانية على الممرات (البوسفور والدردنيل) يشكل حاجزاً أمام روسيا للوصول إلى البحر المتوسط أو عبر هذا البحر إلى المياه الأوروبية حين يتجمد بحر البلطيق (في شمال أوروبا)، حيث تفقد روسيا طابعها الأوروبي، ولهذا سعت باستمرار للاندفاع جنوبا باتجاه البحر

الأسود[٥]، ومنه عبر الممرات إلى المتوسط، أو على الأقل ضمان حرية المرور في الممرات في كل الأوقات لسفنها التجارية والحربية أمام أعدائها[٦].

٢- استرجاع القسطنطينية من أيدي المسلمين العثمانيين، وإعادتها إلى حظيرة الكنيسة الأرثوذكسية.

٣- التوسع في الجهات الجنوبية والجنوبية الشرقية؛ بهدف الوصول إلى الأراضي الحارة المنتجة لبعض السلع، وللتقليل من ضغط السكان الروس في المناطق التي يقطنونها؛ بهدف هزيمة المسلمين وتشتيتهم[٧].

٤- وهناك دافع سياسي، هو الحفاظ على توازن القوى مع الدول الأوروبية، ويتحقق ما يمكن تحقيقه عن طريق بسط نفوذهم في جنوب شرق أوروبا[٨].

وهذه الأهداف كان الإمبراطور الروسي الشهير "بطرس الأكبر Pyotr I" (١٦٨٢ – ١٧٢٥م)[٩]، الذي قد كرَّس سياسته لتجسيدها، ووضع وصيته لتحقيقها من أجل عظمة روسيا، وقد نص في وصيته للروس (في الفقرات الثامنة والتاسعة والحادية عشر والثالثة عشر) على ضرورة الصراع الحضاري ضد العثمانيين، الى أن تنتهي الدولة العثمانية من الوجود. يقول (بطرس الأكبر) في الفقرة الثامنة من وصيته: علينا نحن الروس أن: "نمتد بقدر الإمكان من جهة الشمال، وعلى شواطيء البالتيك (بحر البلطيق)، كما يجب السعي من جهة المغرب، وعلى شواطيء البحر الأسود ".وفي الفقرة التاسعة يقول: "تقترب من القسطنطينية والهند بقدر الإمكان، فمن يملك القسطنطينية فقد ملك الدنيا. فبناء على ذلك ينبغي ملازمة الحرب مع الترك ومملكة الفرس". وفي الفقرة الحادية عشر يقول: "نشارك النمسا فيما قصدناه من إخراج الترك (العثمانيين) من أوروبا". وفي الفقرة الثالثة عشر يقول: "وبعد التسلط على الممالك العثمانية، نجمع جيوشنا وتدخل أساطيلنا بحر البلطيق والبحر الأسود ونشرع في التفاوض مع فرنسا ودولة النمسا في قسمة العالم بيننا"[١٠].

وتاريخياً فإن العلاقات الجدية بين روسيا والدولة العثمانية بدأت بسقوط موسكو بأيدي الروس سنة ٨٨٦هـ/١٤٨١م، ووصول أول سفير روسي إلى إستانبول سنة ٨٩٦هـ / ١٤٩١م ومعه هدية للسلطان بايزيد الثاني[١١]. وقد بدأ الاحتكاك الفعلي بين الروس والعثمانيين عند صدام الروس بمسلمي خانية شبه جزيرة القرم[١٢] من أجل الاستيلاء على استراخان Astrakhan وقازان Kazan (في روسيا حاليا)، حيث ساعد العثمانيون خانات القرم، وبذلوا جهدا رائعاً لصد الروس واستمرت الحرب بين العثمانيين وروسيا حوالي ستين عاما متصلة، منذ بداية الاحتكاك حتى انتهت بمعاهدة قصر شيرين سنة ١٠٤٨هـ / ١٦٣٩م*، وعاود الروس بعد سنوات قلائل هجومهم على آسيا الوسطى حتى استولوا

على كييف Kiev عاصمة أوكرانيا في عام ١٠٩٢هـ / ١٦٨١م[١٣].

وقبيل نهاية القرن السابع عشر الميلادي حدثت تطورات ذات أبعاد مهمة في العلاقات العثمانية الأوروبية عامة والروسية خاصة، ففي سنة ١٠٩٤هـ/ سبتمر ١٦٨٣م فشل الحصار العثماني الثاني أمام فيينا Wien، وكان ذلك مؤشراً إلى الخلل الذي أخذ يصيب الآلة العسكرية العثمانية، والتي كانت حتى ذلك الوقت أقوى قوة ضاربة في الشرق والغرب[١٤]. وانسحب الجيش العثماني إلى بلغراد Belgrade، وقد بعثت تلك الهزيمة مشاعر الفرح في أوروبا. وأدى ذلك الإخفاق العثماني إلى شحذ رغبات عدة دول أوروبية على رأسها النمسا وروسيا، للاستفادة من الحدث الذي أنعش آمالاً عظاماً للانتقام[١٥]. حيث جرى بشكل سريع تشكيل ائتلاف بين الخصوم الرئيسيين للعثمانيين، وهم النمسا وروسيا وبولندا والبابوية والبندقية، وكانت أول حملة لذلك التحالف في شتاء (١٦٨٣ – ١٦٨٤م)، وحقق عدة نجاحات في المجر والمورة، كما قامت روسيا بشن حملتين على القرم المسلمة[١٦].

الحروب الروسية العثمانية:

وبينما كانت تلك التحالفات تأخذ مكانها على الأرض، اعتلى بطرس الأكبر عرش روسيا سنة ١٦٨٢م، وأخذ يتحين الفرصة المناسبة لتنفيذ سياسته التوسعية على حساب الدولة العثمانية وبعد أن أحكم سيطرته التامة على السلطة سنة ١٦٩٤م بدأت مرحلة جديدة ومهمة من مراحل الصراع الروسي العثماني. فقد كان لبطرس الأكبر طموحات كبيرة لخلق إمبراطورية حديثة، لكن هذه الطموحات كانت تعترضها الصعوبات، وإحداها افتقار روسيا لمخرج حر إلى البحار المفتوحة، فركز بطرس في توجهاته السياسية على بحر البلطيق والبحر الأسود، ومن هنا جعل الحرب على الدولة العثمانية باعتبارها حامية تتار القرم والمسيطرة على البحر الأسود[١٧].

خارطة شبه جزيرة القرم وعليها بعض أسماء المدن التي وردت في المعاهدة

وكانت أولى خطوات بطرس الأكبر هي احتلال آزوف Azov[١٨] التي كانت حصناً قوياً ومعقل السيطرة العثمانية على مصب نهر الدون Doon (جنوب غرب روسيا)، وجهز حملة كبرى خرجت في يناير ١٦٩٥م، إلا أن السلطان العثماني مصطفى الثاني[١٩] تمكن من دحرهم، ورفع الحصار عنها، سنة ١١٠٦هـ / أكتوبر ١٦٩٥م[٢٠]. لكن ذلك الفشل لم يثن بطرس عن بذل مجهودات إضافية، وجهز حملة قوية استغل خلالها هزيمة العثمانيين في المجر، حيث تمكن من الاستيلاء على قلعة آزوف في يوليو ١٦٩٦م[٢١].

ولقد بلغت الضغوطات الأوروبية أقصى شدتها لأول مرة في التاريخ بعد انهزام العثمانيين في معركة "كالنبرج" وإبرام "المحالفة المقدسة" التي كانت ترمي إلى طرد الأتراك من أوروبا، وتقسيم الشرق بين روسيا والنمسا. وقد أسفرت تلك "المحالفة" عن حروب عدة مع الدولة العثمانية انتهت بمعاهدتي "كارلوفيتز" أو "كارلوفتش"، أو "قارْلوفْجَه" في ٢٤ رجب سنة ١١١٠هـ / ٢٦ يناير سنة ١٦٩٩م[٢٢]، ومعاهدة القسطنطينية في ربيع الأول ١١١٣هـ / ١٥يوليو ١٧٠٠م، لمدة ثلاثين عاما والتي تنازلت فيه الدولة العثمانية عن آزوف لروسيا، وبذلك توطدت أقدام الروس على سواحل البحر الأسود[٢٣]. وبناء على تلك المعاهدتين فقدت الدولة العثمانية جزءا ليس بالقليل من ممتلكاتها في أوروبا، منها المجر وإقليم ترانسلفانا Transylvania والمورة Morea وآزوف (آزاق) وإقليم دلماسيا

Dalmacija (في كرواتيا الآن) وبودوليا Podolie (غربي أوكرانيا)[٢٤]. ومنذ ذلك التاريخ زاد تسلط الغرب على الدولة العثمانية، وبرز مصطلح المسألة الشرقية بقوة، والذي ينم عن خوفهم من انتشار الإسلام في أوروبا وزيادة قوته[٢٥].

وقد شغل بطرس الأكبر عن الكيد للعثمانيين عندما هاجمه عدوه شارل الثاني عشر ملك السويد، الذي هزم في معركة بولتاوا عام ١٧٠٩م، فلجأ ملك السويد إلى الدولة العثمانية التي رفضت تسلمه لروسيا، وهنا تتبعه الجيش الروسي وتخطى حدود الدولة العثمانية، غير مراع لصلح الثلاثين عاماً، مما اعتبر في نظر الباب العالي سبباً كافياً لإعلان الحرب[٢٦]. وأخذ بطرس يزحف بجيشه على امتداد نهر البروث Prut (في أوكرانيا)، ولكنه فوجيء بالجيوش العثمانية تحاصره من كل جانب، ولو استمر الحصار لأخذ أسيراً هو وزوجته كاترين وبقية جيشه، ولمُحيَت الدولة الروسية من العالم السياسي، وأمام إغراءات كاترينا للوزير العثماني الأعظم "محمد باشا بلطه جي"، حيث أعطته كافة ما كان معها من الجواهر الكريمة والمصوغات الثمينة، تم رفع الحصار في ٥ جمادى الآخرة سنة ١١٢٣هـ / ٢١ يوليو ١٧١١م، وتوقيع معاهدة البروث في ٩ جمادى الآخرة سنة ١١٢٣هـ / ٢٥ يوليو سنة ١٧١١م[٢٧].

وبموجب تلك المعاهدة تم إعادة قلعة آزوف للعثمانيين مرة أخرى، وتدمير القلاع التي بناها الروس على البحر الأسود، ودفع ثمانية آلاف جنيهاً ذهبياً غرامة حربية خلاف ما أعطي للصدر الأعظم، وعدم التعرض لرعايا بولندا أو التحرش بقازاق أو خانية القرم[٢٨].

ثم تلت تلك معاهدة أخرى، عرفت بمعاهدة أدرنة، في ٢٤ جمادى الأولى سنة ١١٢٥هـ/ ١٨ يونيو سنة ١٧١٣م، كررت فيها شروط المعاهدتين السابقتين، مع تنازل روسيا عن ما بيدها من أراض على بحر آزوف، بحيث لم يبق لها عليه أي ميناء، مع إعفائها من دفع الجزية السنوية لخان القرم[٢٩]. ثم تلتها معاهدة جديدة في نوفمبر ١٧٢٠م، بطلب من روسيا، لتعديل شروط معاهدة أدرنة، بحيث يتمكن تجارها من المرور في البلاد العثمانية وبيع بضائعهم فيها، بالإضافة إلى الاتفاق على وضع بولندا. وتمت موافقة العثمانيين عليها، وعرفت باسم "المعاهدة الدائمة للسلام"، والتي لم تكن هي الأخرى أكثر من هدنة مؤقتة لوضع مرتبك لا يمكن أن تُثني روسيا فيما بعد عن محاولاتها لتحقيق أهدافها المتنامية[٣٠].

ومضت سنوات قلائل بعد هذا، ساد في أوروبا اعتقاد عام بأن شمس الدولة العثمانية قد آذنت بالمغيب، وأنها في أخريات أيامها، وكان مرور الزمن لا يزيد هذا الاعتقاد إلا رسوخاً. على أن إذلال بطرس الأكبر من قبل العثمانيين لم يبرح من أذهان الروس ورعايا روسيا، وكانوا يلتهبون غيظاً وحقداً

على الأتراك، كلما ذكروا هذا العار، وهنا جمع بطرس الثاني الجموع لمهاجمة العثمانيين ولكنه مات عام (١١٤٠هـ / ١٧٢٧م)، وتأخر مشروعه إلى عام (١١٤٩هـ / ١٧٣٦م) في مارس حين تحركت الجيوش الروسية بأمر الملكة حنة للانتقام من المسلمين[٣١].

وفي عام ١٧٣٥م استطاعت النمسا عقد معاهدة فيينا مع فرنسا، لينتهي الصراع فيما بينهما ولتتفرغ النمسا للعثمانيين، حيث عقدت مع روسيا اتفاقا سرياً يقضي بأن تحصل روسيا على القرم وآزوف، وأن تحصل النمسا على البوسنة والهرسك بالبلقان. ولكي توجد روسيا ذريعة للحرب أرسلت إنذارا للسلطان العثماني محمود الأول[٣٢] متهمة إياه بقائمة انتهاكات طويلة لمعاهدة البروث سنة ١١٢٣هـ / ١٧١١م، ودار الجزء الأكبر منها حول غارات التتار، وطالبته ببعض الترضيات فرفض السلطان للاتهامات ولمبدأ الترضيات، وقدمت ذريعة مباشرة لإعلان الحرب[٣٣].

ولمدة أربع سنوات دارت الحرب بين الروس والعثمانيين ببطء ودون حسم، وقد حقق فيها الجيش العثماني النصر على روسيا والنمسا، مما أصاب الجميع الدهشة من تلك الانتصارات العثمانية المتتالية[٣٤]، وانتهى الأمر بتوقيع معاهدة بلغراد في ١٤ جمادى الآخرة سنة ١١٥٢هـ / ١٨ سبتمبر سنة ١٧٣٩م، وتقرر فيها الاحتفاظ بالحدود القديمة بين الدولتين، كما حددتها المعاهدات المعقودة بينهما من قبل (المادة ٢)، كما تقرر هدم قلعة آزوف، على أن تبقى الأراضي المحيطة بها خالية من السكان لتكون بمثابة حاجز بين الدولتين وفقا لمعاهدة ١٧٠٠م، وسمحت المعاهدة كتعويض لروسيا بأن تبني قلعة جديدة على مقربة من الجزيرة الواقعة في نهر دون بالقرب من آزوف، وأن يسمح للدولة العثمانية بإقامة قلعة بالقرب من آزوف، كما تقرر عدم السماح لروسيا ببناء أو إبقاء أساطيل لها أو سفن أخرى في البحر الأسود (المادة ٣)، كما قررت المعاهدة أن يمارس رعايا روسيا نشاطهم التجاري في البحر الأسود على سفن تركية (المادة ٩)[٣٥].

وبانتهاء هذه الحرب انتهت مرحلة أخرى من مراحل الصراع الروسي العثماني حول البحر الأسود وبحر آزوف، حيث توقفت الصراعات الحربية بشكل شبه تام حتى عام ١٧٦٧م.

أسباب عقد معاهدة كوجوك قينارجه:

حرب السنوات الست (١٧٦٨– ٧٧٤م):

بعد صلح بلغراد عاشت الدولة العثمانية فترة هدوء؛ بسبب انشغال أوروبا بمشاكلها الداخلية[٣٦]، فمن جهة شهدت روسيا فترة من الاضطرابات حتى صعود كاترين الثانية Katharina II [٣٧] إلى الحكم عام ١٧٦٢م. بينما الدول الأوربية قد شغلت بحرب الوراثة الإسبانية (١٧٤٠ – ١٧٤٧م)، ثم حرب السنوات السبع (١٧٥٦ –

١٧٦٣م)[٣٨]، وخلال تلك الفترة عمل السلاطين والصدور العظام على إبعاد الدولة العثمانية قدر الإمكان عن الصراعات الأوروبية من ناحية، وتمسكوا بسياسة السلم اتجاهها عاماً، وتخلوا عن سياسة الجهاد القديمة من ناحية أخرى، إلا أنهم عندما كانت تفرض عليهم الضرورة حرباً لم يتورعوا عن خوضها، وأدركوا أهمية الدبلوماسية في مسألة توازن القوى في أوروبا، وظهر بوضوح أن الحرب ليست وحدها هي الحاسمة في كل وقت[٣٩].

ويمكن القول إن الربع الأخير من القرن الثاني عشر الهجري وأوائل القرن الثالث عشر الهجري، الموافق للنصف الثاني من القرن الثامن عشر الميلادي، كان نقطة تحول حاسمة في تاريخ العلاقات بين الدولة العثمانية وغيرها من الدول الشرقية والغربية، خاصة روسيا[٤٠]. فإن الإمبراطورة كاترين الثانية منذ اعتلائها عرش روسيا، تبنت أحلام بطرس الأكبر وسعت إلى تدمير الإمبراطورية العثمانية[٤١]، كما واصلت سياسة روسيا التوسعية على حساب العثمانيين، مستغلة كل حادثة إقليمية أو دولية لتحقيق ذلك[٤٢]، وعملت على إحياء الدولة البيزنطية على اعتبار أن الروس هم ورثة البيزنطيين الشرعيين، بل وأطلقت على إحدى بوابات موسكو اسم "الطريق إلى بيزنطة"[٤٣].

وفي منتصف القرن الثامن عشر الميلادي، تولى "مصطفى الثالث"[٤٤] عرش العثمانيين (١٧٥٧-١٧٧٣م)، وكان مولعاً بالحروب والجهاد، فلما رأى أن ازدياد نفوذ الروس في بولندا Poland (بولونيا لهستان) يتعاظم، خشي على بلاده، ورأت الحكومة الفرنسية ذلك أيضا بالنسبة لبلادها فوافقته على رأيه. ولذلك عزم الباب العالي على منازلة الروس، وقوى عنده هذا العزم أن الروس كانوا منذ عام ١٧٦٥م يحرضون اليونان والبوشناق ونسور الجبل الأسود على الخروج على الدولة العثمانية[٤٥].

وكانت سياسة كاترين الثانية تقضي بالقضاء على استقلال بولندا، وإضعاف الدولة العثمانية، لذا عندما مات أغسطس الثالث عام ١٧٦٣م، تدخلت كاترين بالقوة ورتبت لتعيين خليلها ستانيسلاس بونياتوسكي Stanisław August Poniatowski ملكاً لبولندا عام ١٧٦٤م، خلافا لما تعهدت به روسيا للدولة العثمانية في المعاهدات السابقة[٤٦]. وعلى ذلك إزداد الضغط الروسي في بولندا، بشكل يسمح لها بحرية العمل ضد العثمانيين.

وفي تحليله لما كانت ترمي إليه سياسة كاترين الثانية، ودوافعها السافرة في بولندا، يقول محمد فريد بك: " وما ذلك إلا نفاذا لسياسة بطرس الأكبر، القاضية بإزالة الحواجز الثلاثة الحائلة بينها (روسيا) وبين أوروبا الغربية، وهي السويد وبولونيا والدولة العلية. وقد أزيل الحاجز الأول باستيلاء الروسيا على جميع الولايات السويدية الفاصلة بينها وبين ألمانيا، بحيث لم

يبق للسويد أملاك خارجة عن بلادها الأصلية بمقتضى معاهدة نيستاد المبرمة بينهما سنة ١٦٧٢م. وأزيل الثاني(بولونيا) تقريباً بتعيين أحد أتباع الإمبراطورة كاترينة ملكاً على بولونيا. ولذلك تنبهت الدولة إلى نتيجة هذه السياسة، وعلمت أنها إن لن تضع حداً لتقدم نفوذ الروسيا في بولونيا، فلا تلبث هذه المملكة أن تمحي من العالم السياسي بانضمامها للروسيا أو بتجزئتها بينها وبين مجاوريها. لكن كان تنبهها لهذا بعد فوات الوقت المناسب، فإنه كان يجب عليها مساعدة السويد، وبذل النفس والنفيس في حفظ ولايتها الواقعة على البلطيق من الوقوع في أيدي الروسيا أولى من تركها غنيمة باردة لها"[٤٧].

أما الجبهة المعارضة للتدخل الروسي من الشعب البولندي فقد أقامت كونفدرالية بار (المعارضة البولونية) وطلبت الحماية من العثمانيين، فلما تعرضت قوات تلك الكونفدرالية لملاحقات الروس لجأت إلى الأراضي العثمانية. وفي عام ١٧٦٨م اشتد حنق الباب العالي إذ دخل الجنود الروس أملاك الدولة أثناء مطاردتهم قوات الكونفدرالية البولندية الفارين من وجوههم وتعقبوهم حتى دخلوا قصبة "بلطة" التابعة لخان القرم، إحدى ولايات الدولة، وأشعلوا النيران فيها، وعلى ذلك سارع العثمانيون بإعلان الحرب على روسيا في ٦ أكتوبر عام ١٧٦٨م[٤٨].

والواقع أن تأخر العثمانيين في إعلان الحرب، أفسح المجال أمام روسيا لاستكمال استعداداتها العسكرية[٤٩]، فحين نشبت الحرب بين الدولتين كانت روسيا أكثر استعداداً من العثمانيين، فحشدوا جيوشاً كبيرة في أوكرانيا وآزوف وشمالي القوقاز، لمهاجمة الدولة العثمانية من ثلاث جهات، كما أوفدوا عملاء مهمتهم إثارة الاضطرابات في الجبل الأسود والصرب وولاشيا ومولدافيا (الأفلاق والبغدان حسب المصطلح العثماني ويشكلان (رومانيا حاليا) وقلاع الدانوب، واستعدوا للتقدم صوب الأستانة سنة ١٧٧٠م[٥٠]. هذا في حين لم يكن الجيش العثماني مستعداً بشكل جيد، من حيث التدريب والتسليح والخطط، بل كانت أوضاع الدولة سيئة بشكل عام[٥١].

ومع كل هذا النقص وهذا القصور، إلا أن السلطان مصطفى الثالث[٥٢] أوعز إلى كريم كراي خان القرم أن يفتح باب الحرب ضد روسيا، فقام الخان بهجوم شتائي مفاجيء بجيش قوامه ١٠٠ ألف في يناير ١٧٦٩م، وأغار بخيله ورجله على إقليم سربيا الجديدة الذي عمرته روسيا لمنع وصول المساعدة من خان القرم إلى بولونيا عند مسيس الحاجة[٥٣]. فأحرق فيها كل الأبنية الروسية، وأسر من الروس ٣٥ ألف رجل، وكان يستعد أن يبلي الروس ويبيدهم، بيد أن أجله لم يَطُل ومات مسمومًا، وعيَّن عوضه دولة أوكراي[٥٤].

وفي أبريل عام ١٧٦٩م شن الروس هجوماً كبيراً على كل الجهات، من بودوليا إلى جورجيا، وعبرت قواتهم نهر الدنستير(٥٥)، وحاصرت خوتين (مدينة شوكزيم) وهي باب بولونيا، وانتهت الحرب بهزيمة ساحقة للجيش العثماني الذي غرق معظمه في نهر الدنستير بسبب فيضانه، في ١٧ جمادى الأولى سنة ١١٨٣هـ / ١٨ سبتمبر سنة ١٧٦٩م، وتمكن الروس من احتلال خوتين Khotyn (في أوكرانيا) وشوكزيم (في رومانيا) والبغدان (مولدافيا) والأفلاق (والاشيا) وآزوف وبوخارست(٥٦).

وأخذ الروس يثيرون النصارى من الروم الأرثوذكس للقيام بثورات ضد الدولة العثمانية فتوجه عملاء الروس إلى شبه جزيرة المورة لإثارة التمرد ضد السلطات العثمانية، وهم يتوقعون أن يمدهم الأسطول الروسي حين يصل بمساعدات ضخمة(٥٧)، قد أعلنت روسيا في تلك الآونة بصراحة دعمها التحركات الاستقلالية في المورة واليونان(٥٨).

ولما كانت كاترين الثانية تفتقر إلى أسطول يمكِّنها من التصدي للبحرية العثمانية في البحر الأسود، وبسبب كون البحر الأسود بحيرة عثمانية مغلقة تفرض الدولة العثمانية سيطرتها عليه، فإن الإمبراطورة أرسلت وحدة من أسطول بحر البلطيق عبر المحيط الأطلنطي لضرب العثمانيين من الخلف(٥٩). وكان أغلب ضباط الجيش الروسي جنرالات ألمان، بينما قادة الأساطيل الروسية كانوا أميرالات وضباط إنجليز. والغريب أنه عندما أخبر السفير الفرنسي الباب العالي بتحرك الأسطول الروسي إلى البحر الأبيض، لم يكن أحد من الوزراء العثمانين يصدق إمكان اجتياز الأسطول الروسي لتلك البحار ووصوله للمياه العثمانية(٦٠). وأمام البطء العثماني استطاع الأسطول الروسي اجتياز خليج بسكاي حتى البحر المتوسط الشرقي ووصل إلى شواطيء اليونان، واحتلوا كورون إحدى جزر اليونان في أبريل ١٧٧٠م، في محاولة لإشهار العصيان هناك، إلا أنهم فشلوا(٦١)، وعندما لم يتمكنوا من تحقيق غرضهم خرجت سفنهم من ميناء كورون باتجاه جزيرة ساقيز Shios (جنوب شرقي بحر إيجه)، والتقى الفريقان في المضيق المار بين الجزيرة وساحل آسيا الصغرى، وانتصر العثمانيون، ورجعوا بعد تمام النصر إلى ميناء جشمه على شاطئ آسيا الصغرى(٦٢).

التبس الأمر على العثمانيين حين تبعتهم حراقتان روسيتان اقتربتا من السفن العثمانية دون مقاومة، إذ ظن العثمانيون أنهما قادمتان لغرض اللجوء، وكانتا في الحقيقة سفينتي إحراق(٦٣). فبمجرد اقترابهما من السفن العثمانية حتى أطلقتا القذائف المحرقة صوب الأسطول العثماني، فتحولت السفن إلى نيران ملتهبة، خاصة أن السفن العثمانية قد رست جنباً إلى جنب، فانفجرت معدات السفن واحترق الأسطول العثماني بكامله، وذلك في يوم ١١ ربيع الأول سنة

١١٨٤هـ / ٥ يوليو ١٧٧٠م[٦٤]. وأحدث هذا الانتصار دويا هائلاً وصدى عظيماً في أوروبا، مما زاد من اعتبار روسيا بين الدول الغربية[٦٥]. وانفتح الطريق أمام الروس نحو القسطنطينية، ولكنهم فضلوا احتلال جزيرة لمنوس[٦٦]، قبل دخولهم ميناء الدردنيل؛ ليجعلوها قاعدة لهم، إلا أن هدفهم لم يتحقق، بفضل تحصينات الدردنيل التي قام بها البارون المجري دي توت Francois De tott الذي دخل في خدمة الدولة العثمانية، وشجاعة القبطان حسن باشا الذي هاجم السفن الروسية واستطاع فك الحصار عن لمنوس عام ١٧٧١م[٦٧].

وفي محاولة أخرى تقدم الروس لاحتلال طرابزون Trabzon (شمال شرق تركيا على البحر الأسود)، إلا أنهم هزموا، وكان النصر حليف العثمانيين براً وبحراً. غير أن النصر الكبير لروسيا كان في شبه جزيرة القرم، إذ تمت السيطرة الروسية على القرم وأعلنوا انفصالها عن الدولة العثمانية تحت الحماية الروسية، ونصبوا "جاهين كراي نائبا عن الإمبراطورة، في عام ١١٨٥هـ / ١٧٧٢م[٦٨]. ثم جرت مفاوضات الصلح بواسطة النمسا بين روسيا والدولة العثمانية بمدينة بوخارست في ٢٣ ذي القعدة سنة ١١٨٦هـ / ١٥ نوفمبر سنة ١٧٧٣م، ولكنها فشلت بسبب مطالب روسيا التعسفية، والتي منها اعتراف الدولة العثمانية باستقلال تتار القرم، وحرية الملاحة لسفن روسيا التجارية في البحر الأسود وجميع بحار الدولة العثمانية، وأن يكون لروسيا حق حماية جميع المسيحيين الأرثوذكس في بلاد العثمانيين. ولما لم تقبل الدولة العثمانية بتلك الشروط عادت الحرب بين الطرفين، وانهزم الروس هزائم ساحقة في روستجوق وسلستيريا وبازارجق (وكلها على نهر الدانوب Beatona ويسمى الطونة Tuna بالعثمانية)[٦٩].

وفي ذات الوقت كان الروس يحرضون أصحاب المصالح والأطماع من الولاة العثمانيين والمتنفذين، وقامت بمد يد المساعدة لهم لإحداث الفوضى وضرب الدولة العثمانية من الخلف، بما في ذلك علي بك الكبير [١٧٢٨ ــ ١٧٧٣م]في مصر وطاهر العمر [١٦٩٦ــ١٧٧٥م]في فلسطين، إلا أن حركتهما فشلت على يد محمد بك أبو الذهب، الذي قتله وبعث برأسه وأربعة من كبار الضباط الروس إلى الوالي العثماني خليل باشا الذي قام بدوره فأرسلهم إلى القسطنطينية[٧٠].

وفي تلك الأثناء المشحونة بالتوترات، توفي السلطان مصطفى الثالث في ٨ ذي القعدة سنة ١١٨٧هـ / ٢١ يناير سنة ١٧٧٤م، وتولى بعده أخوه السلطان عبد الحميد الأول بن السلطان أحمد الثالث[٧١].

وكان عبدالحميد الأول[٧٢] يدرك أن الخطر الأكبر يأتي من روسيا فعمل لذلك. حيث إن روسيا أرادت الانتقام، فأرسلت قوات كبيرة من جيوشها بقيادة الفيلدمارشال رومانزوف واجتازت نهر الدانوب ودخلوا

قصبة (حاجي أوغلي بازاري)، قاصدة مدينة فارنا Varna (وارنة) في بلغاريا على البحر الأسود، والتقى الجيش العثماني بالقوات الروسية عند مدينة قوزليجق (كوزلوجا برومانيا) في ٥ جمادى الأولى ١١٨٨هـ / ١٤ يوليو ١٧٧٤م، وانهزم العثمانيون، وسار الجيش الروسي قاصدا معسكر الصدر الأعظم محسن زاده، فطلب الصدر من رومانزوف المهادنة وتوقيف القتال وأرسل إليه مندوبين للاتفاق على عقد الصلح بمدينة كوجوك قينارجه(٧٣). وعلى ذلك جرى عقد توقيع المعاهدة التي اشتهرت باسم "كوجك قينارجه الصغرى"، ذات الأهمية الخاصة في الصراع العثماني الروسي على البحر الأسود والمضائق، والتي وضعت الدولة العثمانية تحت رحمة روسيا فجعلت تعمل على خرابها من الخارج والداخل(٧٤).

عقد معاهدة كوجوك قينارجه وبنود الصلح:

وهكذا كانت الدولة العثمانية مجبرة على عقد الصلح والجلوس للتفاوض، وإنهاء تلك الحرب. إذ كانت الدولة العثمانية تمر بمزيد من الصعوبات، والعديد من المشاكل في جميع جبهات القتال، من ذلك تمردات الإنكشارية المستمرة وشقهم عصا الطاعة، وانعدام أهلية الجنود للقتال(٧٥) كما أن الدولة كانت تمر بضائقة مالية كبيرة، نتيجة استنزاف الحرب الروسية الأخيرة لخزينة الدولة. وبسبب تلك المشاكل المالية لم يتم إعطاء الجيش عطايا الجلوس على العرش، مما حدا بالسلطان عبد الحميد الأول أن يغير من سياسة الشدة إلى اللين والملاطفة(٧٦). لذا لم يكن غريباً أن تستمر سلسلة هزائم الدولة العثمانية وتتوالى نكباتها ومصائبها، دون أن تجد سلطاناً قوياً أو قائداً قديراً يأخذ بيد الدولة وينتشلها مما هي فيه من ضياع، فلأول مرة في تاريخ الدولة العثمانية تتغلَّب عليها دولة أوروبية بمفردها دون حليف وشريك في حرب شاملة، فبعد أن كانت الدولة العثمانية الأولى في العالم سقطت من حيث القدرة إلى الدرجة الرابعة بعد إنجلترا وفرنسا وروسيا بالتسلسل(٧٧).

وبسبب تلك الأحوال السيئة داخل الدولة وتوالي هزائمها في الخارج، اضطرت إلى طلب الصلح، الذي عُقد بعد ثلاثة أيام من الهزيمة في مدينة كوجوك قَيْنَارْجَه Küçük Kaynarca(٧٨) في بلغاريا. وتم الجلوس للتفاوض، وكان يمثل الدولة العثمانية في هذه المباحثات رئيس الكتاب (وزير الخارجية) إبرانهيم منيب أفندي، وكتخدا الصدارة (وزير الداخلية) أحمد رسمي أفندي، بينما كان السفير الروسي الأمير رنين Renin والمارشال رومانزوف Romanzov يمثلون الوفد الروسي(٧٩).

وخلال بضعة ساعات جرت المفاوضات بين الطرفين في يوم ٨ جمادى الأولى ١١٨٨هـ/ ١٧ يوليو ١٧٧٤م، وتم الاتفاق على مجموعة من البنود، تمت بإملاءات من الروس(٨٠)، مع مباغتة ومغافلة مفاوضي

الدولة العثمانية[٨١]. ورغم أن الممثلين العثمانيين وقعوا على المعاهدة في ذات اليوم إلا أن الأمير رنين أخَّر التوقيع أربعة أيام كاملة، حيث جرى توقيعها في يوم ١٢ جمادى الأولى ١١٨٨هـ/ ٢١ يوليو ١٧٧٤م، وهو يوم الذكرى المحزنة والعار الذي لحق بروسيا عندما حوصر بطرس الأكبر وزوجته كاترينا على يد الجيش العثماني، كما أنه يمثل يوم الذكرى الـ ٦٣ لمعاهدة البروث، وعلى ذلك يكون اختيار ذلك اليوم مقصوداً؛ لمحو عار الهزيمة[٨٢].

وقد احتوت المعاهدة على ٢٨ مادة وملحقين[٨٣]، وأهم تلك البنود:

١- إزالة العداوة بين الدولة العثمانية وروسيا وحلول الصلح وصيانة الاتفاقات من التغيير والعفو عن الجرائم التي اقترفها رعايا الطرفين (المادة ١).

٢- عدم حماية الرعايا الملتجئين أو الفارين أو الخونة ضمن شروط (المادة ٢).

٣- اعتراف الطرفين بحرية بلاد القرم بلا استثناء واستقلالها، واستقلال طوائف قوبان وديوجان وبديسان وجانبوق (وهم من التتر بالقفقاس ورومانيا حالياً)، ولهم الحرية التامة بانتخاب خان لهم دون تدخل ولا يؤدون ضريبة. وباعتبارهم مسلمين فإن أمورهم المذهبية تنظم من قبل السلطان بمقتضى الشريعة الإسلامية، وبقاء ما يتلعق بالدين من خصائص الخلافة (المادة ٣).

٤- سحب القوات العثمانية من القرم وتسليم القلاع وعدم إرسال جنود أو محافظ عسكري (المادة ٣).

٥- حرية كل دولة في بناء القلاع والأبنية والتحصينات وإصلاح ما يلزم منها (المادة ٤).

٦- تعيين سفير روسي في الآستانة من الدرجة الثانية، والاعتذار له رسميًا عن ما يحدث من خلل (المادة ٥).

٧- تعهد الدولة العثمانية بصيانة الحقوق والكنائس النصرانية في أراضيها ومنح الرخصة من الخلل (المادة ٧).

٨- حرية زيارة رهبان روسيا للقدس والأماكن الأخرى التي تستحق الزيارة، مرخص بها دون دفع جزية أو خراج ويعطون التسهيلات والحماية أثناء ذلك (المادة ٨).

٩- حرية الملاحة للروس في كافة الموانئ العثمانية في البحرين الأبيض المتوسط والأسود* مضمونة وكذلك حرية اتجار الرعايا الروس في البلاد العثمانية برًا وبحرًا مكفولة، وحق عبور المضائق (الدردنيل والبوسفور)، وللتجار الروس حرية الاستيراد منها والتصدير إليها والإقامة فيها. وأن يتمتع التجار الروس بنظام الامتيازات السائدة بين الدولة العثمانية وغيرها من الدول الأوربية مثل إنجلترا وفرنسا. ويحق لروسيا تعيين القناصل في كافة المواقع التي تراها مناسبة (المادة ١١).

١٠- يجب على الدولة العثمانية التعهد ببذل جهدها في كفالة حكومات الولايات الأفريقية اذا ما رغب الروس بعقد معاهدات تجارية فيها (المادة ١٢).

١١- يجوز للروس بناء كنيسة على الطريق العام في محلة بكل أوغلي وفي غلطة باستانبول غير الكنيسة المخصصة وتكون تحت صيانة سفير روسيا وتؤمن الصيانة الكاملة لها والحراسة التامة خوفًا من التدخل (المادة ١٤).

١٢- إعادة بعض المناطق للدولة العثمانية من روسيا بشروط، منها العفو العام عن أهاليها وحرية النصارى منهم من كافة الوجوه وبناء كنائس جديدة ومنح امتيازات للرهبان وحرية الهجرة للأعيان وعدم التعرض لهم وإعفائهم من تكاليف الحرب والجزية (المادة ١٦).

١٣- يرد الروس جزائر البحر الأبيض المتوسط التي هي تحت حكمهم للدولة العثمانية، التي يجب أن تعفو عن أهلها وتعفيهم من الرسوم السنوية وتمنحهم الحرية الدينية وترخص لمن يريد منهم ترك وطنهم (المادة ١٧).

١٤- أن تحصل روسيا على سيطرة كاملة ودائمة بلا معارضة على قلعة كنبرون الواقعة على مصب نهر الدنيبر، وعلى الجزء الواقع على الشاطيء الأيسر للنهر نفسه، بالإضافة إلى المنطقة الصحراوية (المهجورة) الواقعة بين نهري البج (بوغ) والدنيبر. وتتنازل تركيا لروسيا عن قلاع الآزاق (آزوف)، والكرج وقلعة يكي. (المادة ١٨).

١٥- وأن تتنازل روسيا للدولة العثمانية عن الجزر التي استولت عليها في البحر المتوسط وبلاد كرجستان ومكريلية وموجاق، وأن تخلي روسيا الأفلاق والبغدان (رومانيا حاليا) والجزر التي استولت عليها في بحر إيجه، بشرط عدم التضييق على المسيحيين والسماح ببناء الكنائس (المادة ١٦، ٢٣، ٢٤).

كما ذكرت بنودًا أخرى تتعلق ببعض المناطق في القرم، وبتدابير الانسحاب وإخلاء الأفلاق والبوجاق والبغدان، وبتسريح الأسرى، وتعيين السفراء من أجل المصالحة(٨٤).

وأضيف إلى هذه المعاهدة بندان سريان، جاء في إحداهما أن الدولة تدفع إلى روسيا مبلغ خمسة عشر ألف كيسة (سبعة ملايين ونصف مليون قرش)، بصفة غرامة حربية على ثلاثة دفعات متساوية في ثلاث سنوات، في أول يناير سنة ١٧٧٥ وسنة ١٧٧٦ وسنة ١٧٧٧م. وفي البند الثاني أنها تقدم لروسيا المساعدات المقتضية للجلاء عما احتلته من جزائر الروم وسحب دونانمتها منها(٨٥).

تلك كانت أهم بنود معاهدة قينارجه، والتي أُجبر على قبولها العثمانيون، طبقا لقاعدة الحكم لمن غلب والبقاء للأقوى، إذ إنها أزالت هيبة الدولة العثمانية من قلوب الأعداء عامة والأوروبيين خاصة(٨٦). وقد

استغل الروس انتصارهم العسكري فعملوا على أن تكون معاهدة كوجوك قينارجه تتويجا لأهدافهم ومطامعهم في الدولة العثمانية، وتحقيق رغبة الإمبراطورة كاترين الثانية التي اعتبرت روسيا وريثة الإمبراطورية البيزنطية، وأنه يجب عليها تحمل مسئولية طرد الأتراك من أوروبا والمضائق وإحلال الروس مكانهم، وهذا ما كان يحلم به سلفها بطرس الأكبر(٨٧).

قراءة في أهم نتائج وآثار المعاهدة على الدولتين وتأثيرها السلبي بحق العثمانيين:

كانت معاهدة كوجوك قينارجه أكبر هزيمة للمسلمين الأتراك بعد تراجعهم من أمام أبواب فيينا في عام ١٠٤٢هـ / ١٦٨٣م(٨٨)، فقد كانت بنودها ضد مصالح الدولة العثمانية(٨٩)، حتى أن بعض المؤرخين ينهي التاريخ العثماني الكبير بتلك المعاهدة أي عام ١٧٧٤م(٩٠). فقد تجاوزت تلك المعاهدة في خطورتها على الدولة العثمانية كل المعاهدات السابقة بينها وبين روسيا، وأسست النموذج الرئيسي لعلاقتهما حتى اندلاع الحرب العالمية الأولى، وإذا كانت المعاهدات السابقة تم إبطالها تقريباً، فإن روسيا افتتحت بهذه المعاهدة سلسلة معاهدات دافعت بها عن أطماعها كدولة كبرى(٩١).

واعتبر البعض أن معاهدة قينارجه الصغرى من أقسى وثائق التاريخ العثماني(٩٢)، وأنها في الواقع الأساس الذي بنيت عليه المعاهدات التي عقدتها الدولة العثمانية مع روسيا، بحيث أن فقيها قانونيا بارزا أكد أن كل المعاهدات الكبرى المعقودة بين الدولتين خلال نصف القرن التالي (ق١٢هـ /١٨م)، لم تكن سوى شروح لهذا النص الأصلي(٩٣).

وبنظرة تحليلية لبنود المعاهدة، يمكن الخروج بأهم النتائج الخاصة بالدولة العثمانية وروسيا، على النحو التالي:

١- إنهاء السيطرة العثمانية على البحر الأسود، وتهيئة الأسس الديبلوماسية المقبلة للتدخل الروسي في القضايا العثمانية الداخلية.

٢- تمدد الحدود الروسية الى نهر بوغ الجنوبي، واشتمالها على آزوف وسهوب كرش ونيكال في الناحية الشرقية من شبه جزيرة القرم، كما ضمت جزءا من مقاطعة قوبان ومصبي نهري الدينيبر وبوغ وسهوب كينبورن.

٣- أصبح لروسيا حق بناء قنصليات في أي مكان في الدولة العثمانية، خاصة في ياش وبوخارست وسكوتاري. فاستغلت روسيا هذا الحق في جعل تلك المواقع للتجسس وإثارة التمرد والعصيان على الدولة العثمانية، وكذلك إمداد القراصنة اليونانيين بالمال والسلاح للهجوم على السفن والموانيء العثمانية باستمرار، حتى انتشرت القرصنة اليونانية في البحر الأبيض المتوسط وبحر إيجه في النصف الثاني من

القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي، بشكل لم يسبق له مثيل.

٤- سمحت المعاهدة للروس بالحصول على الامتيازات ضمن البلاد العثمانية، تشمل الأرثوذكس في الأفلاق والبغدان وجزر بحر إيجه، وبالتالي تحولت روسيا الى حماية الأرثوذكس في أي مكان في الدولة العثمانية.

٥- لم تكن خطورة المعاهدة تعود فقط لما كسبته روسيا من بلاد وأراض، ولكن فيما حصلت عليه من حقوق، فقد اعترف لها العثمانيون بحرية الملاحة في البحر الأسود والمضائق، ومنح تجارها أفضل معاملة يلقاها الأجانب في كل الولايات العثمانية، براً وبحراً وفي نهر الدانوب، ومن الطبيعي أنها بعدذلك ستؤسس في البحر الأسود مواني‌ء لإنشاء وتصليح السفن ويكون لها أسطول فيه.

٦- احتلت روسيا موقعها في الساحة الدولية كقوة لا يمكن تجاهلها، وجعلت روسيا في المرتبة الثالثة من حيث القوة بعد إنجلترا وفرنسا، بينما سقطت الدولة العثمانية إلى المرتبة الرابعة.

٧- من أهم ما تضمنته المعاهدة، كانت البنود (٧ ، ٨ ، ١٤)، والتي تعهد فيها الباب العالي أن يحمي باستمرار الدين المسيحي الأرثوذكسي والكنائس المسيحية، ويمنح روسيا ترخيصاً ببناء كنيسة أرثوذكسية في استانبول على رأسها أساقفة روس، توضع تحت حماية السفير الروسي. كما منح سفراء الروس لدى الباب العالي رسمياً حق عرض شكواهم، والتدخل لصالح الكنيسة الجديدة، وضد أي أمر يسيء إليها، ووافق الباب العالي أن يسمح للرعايا الروس ولرجال الدين بتأدية فريضة الحج بالأراضي المقدسة في شتى أنحاء المملكة العثمانية. وقد استغلت روسيا تلك البنود كسيف قاطع وجعلتها ذريعة لتدخلها في الشئون الداخلية للدولة العثمانية.

٨- لأول مرة في التاريخ تدفع الدولة العثمانية غرامات حربية، إذ كانت هي الدولة العظمى والكبرى في العالم، مما يؤكد التراجع العسكري الذي منيت به الدولة.

٩- كانت معاهدة قينارجه بداية عصر الضعف والاضمحلال للدولة العثمانية، ورواج مصطلح "المسألة الشرقية"، وبناء عليه فقد بدأت الدولة تفتح صفحة جديدة في تاريخها، بالبحث عن وسائل الإصلاح، ولوجود جيش مغلوب، فكان من الطبيعي أن يؤمن العثمانيون بأن الإصلاح ينبغي أن يبدأ من الجيش.

١٠- أصبحت بلاد القرم مستقلة، ورعاياها لا يتبعون الدولة العثمانية إلا دينيًا فقط.

١١- على أن أهم بند في بنود المعاهدة، هو ظهور مصطلح "الخلافة"، واعتراف الروس أن السلطان العثماني هو خليفة المسلمين في المعمورة. فمع استقلال القرم سياسياً، إلا أن السلطان العثماني احتفظ بحقه في الإشراف على تتار القرم، بصفته خليفة المسلمين، فللسلطان أن يعين خان

التتار ويسمي قضاة الشريعة والإفتاء. وهذه هي المرة الأولى التي يؤكد فيها سلاطين آل عثمان أحقيتهم بهذا اللقب الهام، الذي لم يهتموا به كثيراً في أوقات قوة الدولة. فقد وجد الساسة العثمانيون أنه من الملائم أن يبرزوا ادعاءهم بالخلافة في تعاملهم مع السلطات المسيحية على اعتبار أنه يشمل علاقة السلطان العثماني بالمسلمين الذين يسكنون خارج ممتلكاته. ثم ما لبثوا أن جعلوا منه سلاحاً معنوياً لمقاومة التدخل الأوروبي فيما بعد، خاصة في عهد الخليفة العثماني عبد الحميد الثاني (١٨٧٦ – ١٩٠٩م). فقد جاء في نص المعاهدة: "أما فيما يتعلق بالممارسات الدينية، فلما كان التتار يعتنقون الدين الإسلامي، ولما كان جلالة السلطان هو في نفس الوقت خليفة الإسلام الأعظم، فإن على التتار أن ينهجوا النهج الذي يتمشى مع تعاليم دينهم، دون مساس بالاستقلال السياسي والمدني الذي تقرر لهم"، وقد أول العثمانيون هذه الفقرة بأنها تعني تعيين السلطان خان التتار وفق ما اعتاد عليه الخليفة في الأيام الغابرة، وكذلك حقه في حماية الأقليات المسلمة في مواجهة السلطات المسيحية، وهو حق مماثل لمطلب كاترين الثانية بحماية مسيحي الكنيسة الأرثوذكسية في المناطق التابعة للإمبراطورية العثمانية[٩٤].

وبالجملة فإن معاهدة قينارجه الصغرى خلقت وضعا دوليا جديداً، وفتحت طوراً آخر من أطوار المسألة الشرقية للدول الأوروبية، إلى جانب روسيا التي قررت الاستفادة من ذلك سريعا خاصة وقد كان للمعاهدة آثار بعيدة في المستقبل، فبقدر ما كانت المعاهدة نجاحاً دبلوماسياً عظيماً لروسيا في الشرق، فإنها كانت أكثر التسويات شؤما في التاريخ العثماني[٩٥].

الخـــاتمـــة

تلك كانت أهم ملامح الجذور التاريخية لمعاهدة كوجـــوك قينارجـــه بـــين الدولـــة العثمانية وروسيا وتأثيرات تلك المعاهـــدة السلبي على الدولة العثمانية، والتي اعتبرها البعض بدايـــة النهايـــة للدولـــة العثمانيـــة العظمى(٩٦)، إنذاراً للدولة العثمانية أنها لن تقدر على إرجاع ما فات طالما أنه لم يـــتم إصلاح وتنظيم أمورها من جديد(٩٧). وهي من ناحية أخرى بداية لتعاظم القوة الروسية في الشرق والغرب، وكانت الشروط المهينة التي فرضتها على الدولة العثمانية في تلك المعاهدة قد أثارت مزيـــداً مـــن الأطمـــاع القيصرية، كما أنهـــا أوجـــدت مشـــكلات استعصى حلها في العلاقات بين الـــدولتين، وفرضت نفسها فرضاً في مجال السياســـة الدولية حتى منتصف القرن العشـــرين(٩٨). كما أنها تعد نقطة تحول مهمة؛ لأنها بمثابة اعتراف من الغرب بأن السلطان العثمـــاني هو خليفة المسلمين بلا منازع(٩٩).

الحواشي والتعليقات

(١) أنظر: مصطفى كامل باشا: المسألة الشرقية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة – القاهرة، ٢١٤م، ص٩.

(٢) أسعد خيل داغر: ثورة العرب .. مقدماتها، أسبابها، نتائجها، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة – القاهرة، ٢٠١٤م، ص١١– ١٢.

(٣) زين نور الدين زين: الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولادة دولتي سوريا ولبنان، دار النهار – بيروت، ١٩٧١م، ص٢٢ – ٢٣. ويقول مصطفى كامل: "وقد قال كُتاب آخرون من الشرق ومن الغرب بأن المسألة الشرقية: هي مسألة النزاع المستمر بين النصرانية والإسلام، أي مسألة حروب صليبية متقطعة بين الدولة القائمة بأمر الإسلام وبين دول المسيحية. إلاَّ أن هذا التعريف وإن كان فيه شيء من الحقيقة، فليس بصحيح تمامًا؛ لأن الدول التي تنازع الدولة العلية وجودها لا تعاديها باسم الدين فقط، بل في الغالب تعاديها طمعًا في نوال شيء من أملاكها، وقد أرانا التاريخ أحوالًا كثيرة لم يُستعمَل الدين فيها إلَّا سلاحًا أو وسيلة لنوال غرض جوهري، فهو ستار تختفي وراءه أغراض شتى وأطماع مختلفة. والذي يراجع تاريخ الدولة العلية، ويقلب صحائف أمورها من أول وجودها إلى اليوم؛ يرى أن المسألة الشرقية نشأت مع الدولة نفسها؛ أي إنه منذ وطأت أقدام الترك ثرى أوروبا، وأسسوا دولتهم الفخمة، قام بينهم وبين بعض الدول الأوروبية النزاع الشديد، ودارت الحروب العديدة". المسألة الشرقية، ص٩.

(٤) علي حسون: العثمانيون والروس، المكتب الإسلامي – دمشق وبيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م، ص٣٨ – ٤٣، ٥٧. عبد الرؤوف سنو: العلاقات الروسية العثمانية (١٦٨٧ – ١٨٧٨م)، سياسة الاندفاع نحو المياه الدافئة، مجلة تاريخ العرب والعالم – بيروت، العدد (٧٣، ٧٤)، لسنة (١٩٨٤م)، ص٤٩.

(٥) البحر الأسود: هو بحر داخلي يقع بين الجزء الجنوبي الشرقي لأوروبا وآسيا الصغرى، ويتصل بالبحر المتوسط عن طريق مضيق البوسفور وبحر مرمرة، ويتصل ببحر آزوف عن طريق مضيق كريتش، ويصب فيه نهر الدانوب أهم أنهار أوروبا، وتطل عليه حاليا دولة أوكرانيا وروسيا وجورجيا وتركيا وبلغاريا ورومانيا. انظر: ناصر زيدان: دور روسيا في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا من بطرس الأكبر حتى فلاديمير بوتين، الدار العربية للعلوم ناشرون – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م، ص٣١ – ٣٢.

(٦) عبد الرؤوف سنو: العلاقات الروسية العثمانية (١٦٨٧ – ١٨٧٨م)، سياسة الاندفاع نحو المياه الدافئة، ص٤٩.

(٧) علي حسون: العثمانيون والروس، ص٤٥ – ٤٦.

(٨) فائقة محمد حمزة: أثر الدولة العثمانية في نشر الإسلام في أوروبا، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي الحديث، إشراف: الدكتور يوسف على رابع الثقفي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى / مكة، المملكة العربية السعودية، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م، ص٩٥.

(٩) بطرس الأكبر: ولد عام ١٦٧٢م، وتولى الحكم عام ١٦٨٢م، وسافر إلى الممالك الأوروبية للاطلاع على أنظمتها، وأسس مدينة سان بطرسبرج، وجعلها عاصمة له، ونشأ يكره اللاتينية والكتابة بها حتى الآداب الدينية، وكان يكره الإسلام والمسلمين، وناضل في سبيل سيطرة روسيا على أوروبا. انظر: يوسف بن علي رابع الثقفي: الدولة العثمانية بين فكي الكماشة .. دراسة لعلاقة الدولة العثمانية =مع روسيا والنمسا من معاهدة كوجوك قينارجة ١١٨٨هـ / ١٧٧٤م إلى معاهدة ياش ١٢٠٧هـ / ١٧٩٢م، مجلة العقيق – نادي المدينة المنورة الأدبي الثقافي – السعودية، المجلد (٣)، العدد (٥، ٦)، محرم ١٤١٤هـ، ذي الحجة ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، ص٦٦.

(١٠) انظر: إبراهيم بك حلمي: التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية، مطبعة ديوان عموم الأوقاف – مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٢٣هـ / ١٩٠٥م، ص٢٤١ – ٢٤٢.

(١١) علي حسون: العثمانيون والروس، ص٦٣ – ٦٤.أما عبد الكريم أفندي المرسل إلى روسيا من قبل الدولة العثمانية عام ١٧٧٤ فقد تم منحه درجة أمير أمراء (والي الروميلي) بشكل مؤقت ، راجع السفراء العثمانيين وسفاراتهم بكر صدقي بايقال ، مجمع التارخ التركي، أنقره ١٩٦٨، ص ٢٥

(١٢) خانية القرم: إحدى الدول المهمة في تاريخ شرق أوروبا والتاريخ التركي في العصر الحديث، وتعد أكبر فترة لخانية القرم عاشتها في ظل الإمبراطورية العثمانية، بدأت منذ عام ١٤٢٧م، وحتى فبراير ١٧٨٣م، أي أنها استمرت ٣٥٦ سنة، وقد عاشت في ظل الدولة العثمانية لمدة ٢٩٩ سنة أي منذ عام ١٤٧٥م وحتى معاهدة قينارجه ١٧٧٤م. تبلغ مساحتها ٢ مليون كلم، وتقع شمال شرق وجنوب أوكرانيا الحالية، حاضرتها باغجة سراي، يطلق على حاكمها لقب الخان، وخاناتها من التتار من نسل جوجي بن جنكيز خان. بلغت أوجها في القرن السادس عشر الميلادي، حيث كان الروس وبولندا يدفعون الجزية السنوية لها . انظر: الموسوعة التركية، دار الطباعة القومية – أنقرة، ١٩٧٥م، المجلد ٢٢، ص٥٦.

* المعاهدة التي عقدت بين الدولة العثمانية وإيران عام ١٦٣٩م وبموجبها انتهت الحرب التي قامت بين الطرفين منذ عام ١٦٢٣م. للاستزادة أنظر المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية . د . سهيل صابان ، الرياض ، ٢٠٠٠ ، ص٢١٢ .

(١٣) محمود ثابت الشاذلي: المسألة الشرقية .. دراسة وثائقية عن الخلافة العثمانية (١٢٩٩ – ١٩٢٣م)، مكتبة وهبة – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص١٣٠ – ١٣١.: كييف مدينة تاريخية وميناء في شبه جزيرة القرم وتابعة لأوكرانيا . أنظر: الموسوعة الإسلامية ، الوقف الديني بتركيا ، مجلد١ ، استانبول ١٩٩٤ .

(١٤) عبد الرؤوف سنو: العلاقات الروسية العثمانية (١٦٨٧ – ١٨٧٨م)، سياسة الاندفاع نحو المياه الدافئة، ص٥٠.

(١٥) أكمل الدين إحسان أوغلي: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، نقله إلى العربية: صالح سعداوي، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باستانبول، ١٩٩٩م، ص٥٩.

(١٦) محمد صبري الدالي: القوى الأوروبية الكبرى والصراع الروسي العثماني على البحر الأسود والمضايق، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٤م، ص٣٦ – ٣٧.

(١٧) محمد صبري الدالي: القوى الأوروبية الكبرى والصراع الروسي العثماني على البحر الأسود والمضايق، ص٣٧.

(١٨) آزوف: وهي أزوف (Azov) أو آزاق، وتقع في الشمال الشرقي من بحر آزوف، على الخليج الكبير الواقع شمال البحر الأسود. محمد فريد بك: تاريخ الدولة العلية العثمانية، دار النفائس، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م، ص٢٨٦.

(١٩) السلطان مصطفى الثاني بن محمد الرابع،ولد في ٨ ذي القعدة سنة ١٠٧٤هـ / ٢ يونيه سنة ١٦٦٤م، وهو السلطان الثاني والعشرون للدولة العثمانية، وكان متصفاً بالشجاعة وثبات الجأش، تولى السلطنة عام ١١٠٦هـ / ١٦٩٥م، كانت له حروب مع الروس وانتصر فيها. عزلته الإنكشارية في ٢ ربيع الآخر سنة ١١١٥هـ / ١٥ اغسطس سنة ١٧٠٣م بعد أن حكم ٨ سنوات و٨ شهور، وبقي معزولا إلى أن توفي في ٢٢ شعبان من ١١١٥هـ / ٣١ ديسمبر سنة ١٧٠٣م، وعمره أربعون سنة تقريباً. أنظر: محمد فريد بك: تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص٣٠٨ – ٣١١. عزلتو يوسف بك آصاف: تاريخ سلاطين آل عثمان، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة – القاهرة، ٢٠١٤م، ص١٠١ – ١٠٢.

(٢٠) محمد فريد بك: تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص٣٠٨.

(٢١) محمد فريد بك: تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص٣٠٩.

(٢٢) محمد فريد بك: تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص٣١٠. جهاد صالح: روسيا وفلسطين، العلاقات الروحية والتربوية والثقافية منذ القرن التاسع الميلادي وحتى بداية القرن العشرين، المركز الفلسطيني للدراسات والنشر والإعلام، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٦م، ص١٧.بموجب هذه المعاهدة فقد تم عقد هدنه لمدة خمس وعشرين عاماً وتم منح النمسا بقية أراضي المجر وترانسلفانيا باستثناء ولاية طمشوار . للاستزادة أنظر : تاريخ تركيا منذ فتح استانبول وحتى ذلك الوقت أحمد حامد – مصطفى حسني ، ط٢ ، المطبعة القومية ، استانبول ١٩٢٦م ، ص ٢٥٩ –٢٦١ .التاريخ ، تأليف لجنة مطبعة الدولة ، استانبول ١٩٢٩م ، ص٣٥

(٢٣) حسين لبيب: تاريخ المسألة الشرقية، مجلة الهلال – مصر، ١٩٢١م، ص٥٧. أكمل الدين إحسان أوغلي: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ص٥٩ – ٦٠.

(٢٤) محمد فريد بك: تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص٣١٠. أكمل الدين إحسان أوغلي: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ص٦٠.

(٢٥) علي حسون: تاريخ الدولة العثمانية، المكتب الإسلامي –دمشق وبيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م، ص١٤٢.

(٢٦) إبراهيم بك حلمي: التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية، ص١٥٢.

(٢٧) محمد فريد بك: تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص٣١٤. حسين لبيب: تاريخ المسألة الشرقية، ص٥٧ – ٥٨. يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة: عدنان محمود سليمان، مراجعة وتنقيح: محمود الأنصاري، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل – إستانبول، ١٩٨٨م، ج١/ ص٥٩٥ – ٥٩٦.

(٢٨) إبراهيم بك حلمي: التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية، ص١٥٢. عزلتو يوسف بك آصاف: تاريخ سلاطين آل عثمان، ص١٠٤.

(٢٩) محمد فريد بك: تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص٣١٤ – ٣١٥. بعد سقوط أدرنة فقد تفرق القازاق في شتى الأنحاء وجاءوا حتى مشارف اسوار استانبول .. وكانت المعاهدة بين روسيا والدولة العثمانية تم منح روسيا فيها جميع الجزر الموجودة في مضيق الطونة بأوروبا ، وفي المقابل فقد احتفظ الأتراك بالشاطئ الأيمن للنهر .. للأستزادة انظر : الحروب العثمانية الروسية شيروق قوراد – نشريات سلافه ، استانبول ٢٠٠٩ ، ص ٣٤٥.

(٣٠) علي حسون: العثمانيون والروس، ص٧٦. محمد صبري الدالي: القوى الأوروبية الكبرى والصراع الروسي العثماني على البحر الأسود والمضايق، ص٤٥ – ٤٦.

(٣١) حسين لبيب: تاريخ المسألة الشرقية، ص٥٨. فائقة محمد حمزة: أثر الدولة العثمانية في نشر الإسلام في أوروبا، ص٩٦.

(٣٢) محمود الأول: هو ابن السلطان مصطفى الثاني، ولد في ٤ محرم سنة ١١٠٨هـ / ٣ اغسطس سنة ١٦٩٦م، وهو السلطان الرابع والعشرون للدولة العثمانية، تولى السلطنة سنة ١١٤٣هـ / ١٧٣٠م، كانت له حروب مع الإيرانيين والروس، وكان متصفاً بالعدل والحلم والمساواة بين الرعية، وكانت مدة حكمه ٢٥ سنة، حيث توفي يوم الجمعة ٢٧ صفر سنة ١١٦٨هـ / ١٣ ديسمبر سنة ١٧٥٤م. أنظر: محمد فريد بك: تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص٣٢٠ – ٣٢٦. عزلتو يوسف بك آصاف: تاريخ سلاطين آل عثمان، ص١٠٧ – ١٠٨.

(٣٣) عزلتو يوسف بك آصاف: تاريخ سلاطين آل عثمان، ص١٠٨. محمد صبري الدالي: القوى الأوروبية الكبرى والصراع الروسي العثماني على البحر الأسود والمضايق، ص٤٧.

(٣٤) أكمل الدين إحسان أوغلي: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ص٦٥ – ٦٦.

(٣٥) إبراهيم بك حلمي: التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية، ص١٦٠ – ١٦١. عزلتو يوسف بك آصاف: تاريخ سلاطين آل عثمان، ص١٠٨. محمد فريد بك: تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص٣٢٢ – ٣٢٣. عبد العزيز الشناوي: الدولة العثمانية .. دولة إسلامية مفترى عليها، مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٩٨٠م، ص١٩٥.

(٣٦) عبد الرؤوف سنو: العلاقات الروسية العثمانية (١٦٨٧ – ١٨٧٨م)، سياسة الاندفاع نحو المياه الدافئة، ص٥١.

(٣٧) كاترين الثانية: زوجة بطرس الثالث، ولدت عام ١٧٢٩م، وتوفيت سنة ١٧٩٧م، وهي ألمانية الأصل، حكمت روسيا ٣٤ سنة، وكان لها شعبية كبيرة، حتى أن مؤيديها نصبوها على الحكم بدلاً من زوجها، وكانت تكره الإسلام والدولة العثمانية، وكانت تحلم بتكوين دولة كبيرة تحكم العالم، ولعبت دوراً بارزاً في سياسة روسيا الاستعمارية في القرن الثامن عشر الميلادي. يوسف بن علي رابع الثقفي: الدولة العثمانية بين فكي الكماشة، ص٦٦.

(٣٨) محمد صبري الدالي: القوى الأوروبية الكبرى والصراع الروسي العثماني على البحر الأسود والمضايق، ص٤٩.

(٣٩) أكمل الدين إحسان أوغلي: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ص٦٦ – ٦٧.

(٤٠) يوسف بن علي رابع الثقفي: الدولة العثمانية بين فكي الكماشة، ص٦٥.

(٤١) أحمد عبد الرحيم مصطفى: في أصول التاريخ العثماني، دار الشروق – القاهرة، الطبعة: الثالثة، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م، ص١٦٤.

(٤٢) عبد الرؤوف سنو: العلاقات الروسية العثمانية (١٦٨٧ – ١٨٧٨م)، سياسة الاندفاع نحو المياه الدافئة، ص٥١.

(٤٣) أحمد عبد الرحيم مصطفى: في أصول التاريخ العثماني، ص١٦٤.

(٤٤) مصطفى الثالث: ابن السلطان أحمد الثالث، ولد عام ١١٢٩هـ / ١٧١٧م، وهو السلطان السادس والعشرون للدولة العثمانية، وكان ميالاً للإصلاح محباً لتقدم بلاده، توفي رحمه الله في ٨ ذي القعدة سنة ١١٨٧هـ / ٢١ يناير سنة ١٧٧٤م. أنظر: محمد فريد بك: تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص٣٢٩. عزلتو يوسف بك آصاف: تاريخ سلاطين آل عثمان، ص١١١ – ١١٣.

(٤٥) جهاد صالح: روسيا وفلسطين، العلاقات الروحية والتربوية والثقافية منذ القرن التاسع الميلادي وحتى بداية القرن العشرين، ص١٧.

(٤٦) عزلتو يوسف بك آصاف: تاريخ سلاطين آل عثمان، ص١١١ – ١١٢. محمد فريد بك: تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص٣٢٩ – ٣٣٠. محمد صبري الدالي: القوى الأوروبية الكبرى والصراع الروسي العثماني على البحر الأسود والمضايق، ص.٥٠

(٤٧) محمد فريد بك: تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص٣٣٠.

(٤٨) يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ج١/ ص٦٢٣. أكمل الدين إحسان أوغلي: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ص٦٧.

(٤٩) عبد الرؤوف سنو: العلاقات الروسية العثمانية (١٦٨٧ – ١٨٧٨م)، سياسة الاندفاع نحو المياه الدافئة، ص٥١.

(٥٠) أحمد عبد الرحيم مصطفى: في أصول التاريخ العثماني، ص١٦٤.الأفلاق : منطقة موجودة بين الطونة والقرباط وتتمتع بحكم ذاتي خاص في العهد العثماني أنظر : الموسوعة الإسلامية الوقف الديني بتركيا مجلد ١٠ ، استانبول ١٩٩٤، ص ٤٦٦ ، وبغدان: اسم تم إطلاقه على منطقة مولدافيا برومانيا في العهد العثماني ، أنظر : الموسوعة الإسلامية الوقف الديني بتركيا ، مجلد ٦، استانبول ١٩٩٢م ، ص ٢٦٩ .

(٥١) محمد صبري الدالي: القوى الأوروبية الكبرى والصراع الروسي العثماني على البحر الأسود والمضايق، ص٥٠.

(٥٢) سبق التعريف به.

(٥٣) محمد فريد بك: تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص٣٣٤.

(٥٤) عزلتو يوسف بك آصاف: تاريخ سلاطين آل عثمان، ص١١٢.

(٥٥) نهر الدنستير: ينبع من السفوح الشمالية لجبال الكربات، ويتجه شرقاً ويصب في البحر الأسود قرب أُوديسا. أنظر: علي حسون: تاريخ الدولة العثمانية، ص١٤٦.

(٥٦) محمد فريد بك: تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص٣٣٥. يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ج١/ ص٦٢٣ – ٦٢٤. محمد صبري الدالي: القوى الأوروبية الكبرى والصراع الروسي العثماني على البحر الأسود والمضايق، ص٥١.

(٥٧) محمد فريد بك: تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص٣٣٥. عزلتو يوسف بك آصاف: تاريخ سلاطين آل عثمان، ص١١٢. محمود شاكر: التاريخ الإسلامي، الجزء الثامن: العهد العثماني، المكتب الإسلامي، الطبعة: الرابعة، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م، ص١٤٩.

(٥٨) علي سويم ويشار يوجل: تاريخ تركيا، المجلدالرابع (العصر العثماني ١٧٣٠ – ١٨٦١م)، مجمع التاريخ التركي – أنقرة، ١٩٩٢م، ص١٨٧.

(٥٩) أحمد عبد الرحيم مصطفى: في أصول التاريخ العثماني،، ص١٦٤.

(٦٠) يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ج١/ ص٦٢٤.

(٦١) محمد فريد بك: تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص٣٣٥. عزلتو يوسف بك آصاف: تاريخ سلاطين آل عثمان، ص١١٢.

(٦٢) محمد فريد بك: تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص٣٣٦.

(٦٣) محمد فريد بك: تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص٣٣٦. يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ج١/ ص٦٢٥.

(٦٤) محمد فريد بك: تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص٣٣٦. إبراهيم بك حلمي: التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية، ص١٧١. ناصر زيدان: دور روسيا في الشرق الأوسط، ص٤٥.

(٦٥) يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ج١/ ص٦٢٥.

(٦٦) لمنوس: جزيرة في بحر إيجه، قرب الحدود التركية، تقع إلى الجنوب الغربي من الدردنيل. انظر: علي حسون: تاريخ الدولة العثمانية، ص١٤٦.

(٦٧) محمد فريد بك: تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص٣٣٦ – ٣٣٧. علي حسون: العثمانيون والروس، ص٨٠ – ٨١.

(٦٨) محمد فريد بك: تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص٣٣٧. الموسوعة التركية، المجلد ٢٢، ص٥٧.

(٦٩) محمد فريد بك: تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص٣٣٧ – ٣٣٩. محمود شاكر: التاريخ الإسلامي، الجزء الثامن:العهد العثماني، ص١٥٠.

(٧٠) محمد فريد بك: تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص٣٣٩ – ٣٤٠. محمود شاكر: التاريخ الإسلامي، الجزء الثامن: العهد العثماني، ص١٥٠ – ١٥١.

(٧١) عبد الرحمن شرف: تاريخ الدولة العثمانية، المجدل الأول ، ص١٩٤. محمد فريد بك: تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص٣٤٠ – ٣٤١.

(٧٢) عبد الحميد الأول: ابن السلطان أحمد الثالث، ولد سنة ١١٣٧هـ/ ١٧٢٤م، وقضى مدة حكم أخيه مصطفى الثالث محجوزاً في القصر. تولى الحكم بعد وفاة أخيه مصطفى الثالث في ذي القعدة سنة ١١٨٧هـ / يناير سنة ١٧٧٤م، وهو السلطان السابع والعشرون للدولة العثمانية، وقد بدأ أعماله فعيَّن القواد وكبار الموظفين والصدر الأعظم محسن زادة، وفي عهده تم توقيع معاهدة قينارجه. وفي ١٢ رجب سنة ١٢٠٣هـ / ٨ أبريل سنة ١٧٨٩م، بالغا من العمر ٦٦ سنة، ومدة حكمه ١٥ سنة وثمانية شهور. انظر: محمد فريد بك: تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص٣٤١ – ٣٦٢.

(٧٣) محمد فريد بك: تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص٣٤١ – ٣٤٢. عزلتو يوسف بك آصاف: تاريخ سلاطين آل عثمان، ص١١٥ – ١١٦.

(٧٤) محمد صبري الدالي: القوى الأوروبية الكبرى والصراع الروسي العثماني على البحر الأسود والمضايق، ص٥٤. أسعد خيل داغر: ثورة العرب، ص١٢. جهاد صالح: روسيا وفلسطين، ص١٨.

(٧٥) عزلتو يوسف بك آصاف: تاريخ سلاطين آل عثمان، ص١١٥.

(٧٦) عبد الرحمن شرف: تاريخ الدولة العثمانية، ص١٩٤.

(٧٧) يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ج١/ ص٦٢٦.

(٧٨) كوجوك قينارجه، وتنطق أحيانا كوجك قينارجي، وقاينارجا، وكوتشوك كاينارجي، وهي قرية بلغارية تقع إلى الجنوب من نهر الدانوب، على حدود دوبروجه بجنوب شرق سلستره. أنظر: سهيل صابان: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية،مراجعة: الدكتور عبد الرازق محمد حسن بركات، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية – الرياض – السعودية، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م، ص١٨٧، ٢١٢ – ٢١٣.

(٧٩) عبد الرحمن شرف: تاريخ الدولة العثمانية، ص١٩٥. محمد فريد بك: تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص٣٤٢، ٣٥٦. أحمد آق كوندز وسعيد أوزتورك: الدولة العثمانية المجهولة (٣٠٣ سؤال وجواب توضح حقائق غائبة عن الدولة العثمانية)، وقف البحوث العثمانية، ١٩٩٤م، ص٣٥٨.كتخدا : أي صاحب البيت، وهو في الأصل فارسي، أنظر : المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية ، ص ١٨٨.

(٨٠) أحمد حامد ومصطفى محسن: تاريخ تركيا منذ فتح استانبول وحتى ذلك الوقت، المطبعة القومية، الطبعة: الثانية، ١٩٢٦م، ص٣٠٤.

(٨١) يذكر ألتان أراسلي أن إبراهيم منيب أفندي كان مولعاً بشرب الأفيون، وقبل دخول قاعة الاجتماع فإنه أخذ قطعة من الأفيون وذهب عقله بتأثيرها، فجلس بمكان غير المخصص له. ولأنه لم يكن يعرف ماهية الموضوع في الاجتماع فإنه أخذ يردد "لنأت إلى مسألة التنظيمات". وأدرك العضو الروسي الماكر ما حدث، فاغتنم الفرصة وأملى شروطه، وقال: "لننهي هذا الموضوع مؤخراً ". أنظر: الأثار التركية في أوروبا، وزارة الثقافة – أنقرة، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م، ج٢/ ص١١٦.

(٨٢) يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ج١/ ص٦٢٨. حسين لبيب: تاريخ المسألة الشرقية، ص٥٩.

(٨٣) أنظر بنود تلك المعاهدة كاملة ومفصلة في: محمد فريد بك: تاريخ الدولة العلية العثمانية، نقلا عن تاريخ جودت باشا، ص٣٤٢ – ٣٥٨؛ عبدالرحمن شرف: تاريخ الدولة العثمانية، ص١٩٦– ١٩٧؛ أحمد جودت باشا: تاريخ جودت ، تحقيق عبداللطيف الحميد، ج١، ٥٠٢–٦١٧؛ Hurewitz, J. C. Doplomacy in The Near and Middle East.A Documentary record ١٥٣٥- ١٩٥٦. Vol. ١ . Archive Editions. ١٩٨٧.p.٥٤–٦١.

* بعد فتح البحر الأسود بموجب معاهدة قينارجة الصغرى عام ١٧٧٤م واستمر مع معاهدة أدرنه (الثانية) عام ١٨٢٩م . أنظر التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للإمبراطورية العثمانية ، خليل اينالجق ، دونالد قطاريت، المجلد الثاني ١٦٠٠– ١٩١٤، محي الدين صالح آدين ، استانبول ٢٠٠٤، ص ٩٤٤

(٨٤) أنظر: عبد الرحمن شرف: تاريخ الدولة العثمانية، ص١٩٦. إبراهيم بك حلمي: التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية، ص١٧٣. عزلتو يوسف بك آصاف: تاريخ سلاطين آل عثمان، ص١١٦. أحمد حامد ومصطفى محسن: تاريخ تركيا منذ فتح إستانبول وحتى ذلك الوقت، ص٣٠٥. أحمد عبد الرحيم مصطفى: في أصول التاريخ العثماني، ص١٦٧. أحمد آق كوندز وسعيد أوزتورك: الدولة العثمانية المجهولة، ص٣٦١ – ٣٦٢. الموسوعة

التركية، المجلد ٢٢، ص٥٧. علي سويم ويشار يوجل: تاريخ تركيا، المجلدالرابع (العصر العثماني ١٧٣٠ – ١٨٦١م)، ص١٨٧. يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ج١/ ص٦٢٨ – ٦٢٩. علي حسون: العثمانيون والروس، ص٨٢ – ٨٤. علي الصلابي: الدولة العثمانية .. عوامل النهوض وأسباب السقوط، دار التوزيع والنشر الإسلامية – مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م، ص٣١٧ – ٣١٨.

(٨٥) محمد فريد بك: تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص٣٤٢. عبد الرحمن شرف: تاريخ الدولة العثمانية، ص١٩٦.

(٨٦) عبد الرحمن شرف: تاريخ الدولة العثمانية، ص١٩٦.

(٨٧) يوسف بن علي رابع الثقفي: الدولة العثمانية بين فكي الكماشة، ص٦٦.

(٨٨) أحمد آق كوندز وسعيد أوزتورك: الدولة العثمانية المجهولة، ص٣٥٨.

(٨٩) العالم التركي .. تاريخ وجغرافيا، أنقرة، الطبعة: الثالثة، ٢٠٠١م، ج١/ ص٦٦١.

(٩٠) يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ج١/ ص٦٣١.

(٩١) محمد صبري الدالي: القوى الأوروبية الكبرى والصراع الروسي العثماني على البحر الأسود والمضايق، ص٥٥.

(٩٢) إسماعيل أحمد ياغي: الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، مكتبة العبيكان – الرياض، ١٩٩٥م، ص١٢٤.

(٩٣) أحمد عبد الرحيم مصطفى: في أصول التاريخ العثماني، ص١٦٥ – ١٦٦.

(٩٤) أحمد عبد الرحيم مصطفى: في أصول التاريخ العثماني، ص١٦٥ – ١٦٧. يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ج١/ ص٦٢٩ – ٦٣١. علي حسون: العثمانيون والروس، ص٨٤ – ٨٥. عبد اللطيف الصباغ: تاريخ الدولة العثمانية، جامعة بنها – مصر، ٢٠١٣م، ص٨٦، ١١٦ – ١١٧. علي الصلابي: الدولة العثمانية، ص٣١٨. يوسف بن علي رابع الثقفي: الدولة العثمانية بين فكي الكماشة، ص٧٠. عبد الرؤوف سنو: العلاقات الروسية العثمانية (١٦٨٧ – ١٨٧٨م)، سياسة الاندفاع نحو المياه الدافئة، ص٥١.

(٩٥) محمد صبري الدالي: القوى الأوروبية الكبرى والصراع الروسي العثماني على البحر الأسود والمضايق، ص٥٥ – ٥٦.

(٩٦) أحمد آق كوندز وسعيد أوزتورك: الدولة العثمانية المجهولة، ص٣٦٢.

(٩٧) عبد الرحمن شرف: تاريخ الدولة العثمانية، ص١٩٦.

(٩٨) عبد العزيز الشناوي: الدولة العثمانية .. دولة إسلامية مفترى عليها، ص١٩٨.

(٩٩) الموسوعة الإسلامية، إستانبول، ١٩٩٨م، المجلد ١٧ ، ص٥١٦ (أم ٥١١).

المصادر والمراجع والدوريات

أولاً المصادر العثمانية :

- عبد الرحمن شرف: تاريخ الدولة العثمانية، المجلد الأول.
- أحمد حامد ومصطفى محسن: تاريخ تركيا منذ فتح استانبول وحتى ذلك الوقت، المطبعة القومية، الطبعة: الثانية، ١٩٢٦م.

ثانياً : المراجع العربية:

- إبراهيم بك حلمي: التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية، مطبعة ديوان عموم الأوقاف – مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٢٣هـ/١٩٠٥م.
- أحمد آق كوندز وسعيد أوزتورك: الدولة العثمانية المجهولة (٣٠٣ سؤال وجواب توضح حقائق غائبة عن الدولة العثمانية)، وقف البحوث العثمانية، ١٩٩٤م.
- أحمد عبد الرحيم مصطفى: في أصول التاريخ العثماني، دار الشروق–القاهرة، الطبعة: الثالثة، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.
- أسعد خليل داغر: ثورة العرب.. مقدماتها، أسبابها، نتائجها، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة – القاهرة، ٢٠١٤م.
- إسماعيل أحمد ياغي: الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، مكتبة العبيكان– الرياض، ١٩٩٥م.
- جهاد صالح: روسيا وفلسطين، العلاقات الروحية والتربوية والثقافية منذ القرن التاسع الميلادي وحتى بداية القرن العشرين، المركز الفلسطيني للدراسات والنشر والإعلام، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٦م.
- زين نور الدين زين: الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولادة دولتي سوريا ولبنان، دار النهار–بيروت، ١٩٧١م.
- سهيل صابان: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مراجعة: الدكتور عبد الرازق محمد حسن بركات، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية – الرياض – السعودية، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
- عبد العزيز الشناوي: الدولة العثمانية .. دولة إسلامية مفترى عليها، مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٩٨٠م.
- عبد اللطيف الصباغ: تاريخ الدولة العثمانية، جامعة بنها– مصر، ٢٠١٣م.
- عزلتو يوسف بك آصاف: تاريخ سلاطين آل عثمان، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة – القاهرة، ٢٠١٤م.
- علي حسون: العثمانيون والروس، المكتب الإسلامي – دمشق وبيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
- علي حسون: تاريخ الدولة العثمانية، المكتب الإسلامي – دمشق بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.
- علي الصلابي: الدولة العثمانية .. عوامل النهوض وأسباب السقوط، دار التوزيع والنشر الإسلامية – مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.
- محمد صبري الدالي: القوى الأوروبية الكبرى والصراع الروسي العثماني على البحر الأسود والمضايق، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٤م.
- محمد فريد بك: تاريخ الدولة العلية العثمانية، دار النفائس، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
- محمود ثابت الشاذلي: المسألة الشرقية .. دراسة وثائقية عن الخلافة العثمانية (١٢٩٩ – ١٩٢٣م)، مكتبة وهبة – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.
- محمود شاكر: التاريخ الإسلامي، الجزء الثامن: العهد العثماني، المكتب الإسلامي، الطبعة: الرابعة، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
- مصطفى كامل باشا: المسألة الشرقية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة – القاهرة، ٢١٤م.
- ناصر زيدان: دور روسيا في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا من بطرس الأكبر حتى فلاديمير بوتين، الدار العربية للعلوم ناشرون – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م.

ثالثاً : المراجع المعربة .

- أكمل الدين إحسان أوغلي: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، نقلة إلى العربية: صالح سعداوي، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باستانبول، ١٩٩٩م.
- يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة: عدنان محمود سليمان، مراجعة وتنقيح: محمود الأنصاري، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل – استانبول، ١٩٨٨م.

رابعاً: مراجع بالتركية الحديثة

- ألتان أراسلي: الأثار التركية في أوروبا، وزارة الثقافة – أنقرة، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.
- بكر صدقي بايقال، السفراء العثمانيين وسفاراتهم، مجمع التاريخ التركي، أنقره ١٩٦٨.
- خليل اينالجق – دونالد قطاريت ، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للإمبراطورية العثمانية، المجلد الثاني ، ١٦٠٠-١٩١٤ ، ط١، محي الدين صالح آدين، استانبول ٢٠٠٤.
- شيروق قوراد ، الحروب العثمانية الروسية، نشريات سلافه، استانبول ٢٠٠٩.
- علي سويم ويشار يوجل: تاريخ تركيا، المجلد الرابع (العصر العثماني ١٧٣٠ – ١٨٦١م)، مجمع التاريخ التركي – أنقرة، ١٩٩٢م.
- التاريخ ، تأليف لجنة مطبعة الدولة، استانبول ١٩٢٩م.
- العالم التركي .. تاريخ وجغرافيا، ج١، أنقرة، الطبعة: الثالثة، ٢٠٠١م.
- الموسوعة الإسلامية، الوقف الديني بتركيا ، مجلد ٦، استانبول ١٩٩٢م.
- الموسوعة الإسلامية، الوقف الديني بتركيا مجلد ١٠ ، استانبول ١٩٩٤.
- الموسوعة الإسلامية، استانبول، ١٩٩٨م، المجلد ١٧.
- الموسوعة التركية، دار الطباعة القومية – أنقرة، ١٩٧٥م، المجلد ٢٢.
- الموسوعة الإسلامية، الوقف الديني بتركيا ، مجلد١، استانبول ١٩٩٤.

خامساً: الرسائل العلمية :

- فائقة محمد حمزة: أثر الدولة العثمانية في نشر الإسلام في أوروبا، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي الحديث، إشراف: الدكتور يوسف على رابع الثقفي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى/ مكة، المملكة العربية السعودية، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.

سادساً: الدوريات

- حسين لبيب: تاريخ المسألة الشرقية، مجلة الهلال – مصر، ١٩٢١م.
- عبد الرؤوف سنو: العلاقات الروسية العثمانية (١٦٨٧ – ١٨٧٨م)، سياسة الاندفاع نحو المياه الدافئة، مجلة تاريخ العرب والعالم – بيروت، العدد (٧٣، ٧٤)، لسنة (١٩٨٤م).
- يوسف بن علي رابع الثقفي: الدولة العثمانية بين فكي الكماشة.. دراسة لعلاقة الدولة العثمانية مع روسيا والنمسا من معاهدة كوجك قينارجة ١١٨٨هـ/١٧٧٤م إلى معاهدة ياش ١٢٠٧هـ/١٧٩٢م، مجلة العقيق – نادي المدينة المنورة الأدبي الثقافي– السعودية، المجلد (٣)، العدد (٥، ٦)، محرم ١٤١٤هـ، ذي الحجة ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.